مجلة الدراسات الإسلامية واللغة العربية
Journal of Islamic studies and Arabic Language, Vol.1, Issue 1, May 2022
ISSN: 2791-2310 Print
ISSN: 2791-2329 Online

أثر الغزو الثقافي للعالم الإسلامي على خلق العبادة

Ahmad Mubashir Jalloh
Senior lecturer
Department of Sharia
Faculty of Islamic studies and Arabic Language
Islamic University In Uganda
mubashir1500@gmail.com

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بحث بعنوان : "أثر الغزو الثقافي للعالم الإسلامي على خلق العبادة

"فإن الفكر أشبه بالماء ينتقل من أعلى إلى أدنى، وعندما كنا الأعلى، كان فكرنا وقبله ديننا وعلمنا ينتقل إلى غيرنا إلى الأدنى، وعندما صرنا الأدنا، عند ما رضينا بالسفح دون القمم، نزل إلينا كل وافد وكل رافد –يحمل معه بعض الخير لكنه يحمل شراً مستطيراً يحمل مع الماء الزبد والغثاء ويحمل داخل الماء الكثير من السموم "[1]، لهذا تغير كثير من المفاهيم والتطبيقات في ديننا الحنيف بين مفهوم سلفنا الصالح وبين مفهوم الأجيال المتأخرة لاسيما جيلنا الحالي، ومنها مفهوم العبادة ، بسبب الغزو الثقافي المسيطر على العالم الإسلامي ، حيث أن معظم العبادات تؤدى آليا دون خشوع وشعور بعظمة المعبود والعبادة التي يؤديها المسلم ، فمثلا عبادة الصلاة قد يؤديها المصلي في المسجد مع الجماعة ثم إذا سئل ماذا قرأ الإمام ، فلا يتذكر شيئا ، بخلاف سلفنا الصالح كانوا يحفظون كثيرا من الآيات والسور خلف قراءة الإمام ، وهكذا بقية العبادات فمعظم القائمين عليها يؤدونها آليا دون خشوع ومراقبة لله سبحانه وتعالى، ومفهوم العبادة الحقيقية هي غاية الوجود الإنساني فهي أوسع وأشمل من مجرد الشعائر التعبدية، والعبادة الحقيقية هي التوجه إلى الله تعالى بكل حركة في الضمير وكل حركة في الجوارح وكل حركة في الحياة ، التوجه بها الى الله خالصة ، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد لله تعالى تناول الباحث في هذا البحث أهم آثار الغزو الثقافي للعالم الإسلامي على خلق العبادة ، وركز على أهم النقاط فيها ، و مقسما البحث على ثلاثة مطالب وخاتمة على النحو التال

[1]) علي جريشة: الاتجاهات الفكرية المعاصر 77 ط . أولى 1407هـ - 1986م دار الوفاء المنصورة.

المطلب الأول : تعريف العبادة في اللغة والإصطلاح

المطلب الثاني : المفهوم الصحيح للعبادة في الإسلام

المطلب الثالث : أثر الغزو الثقافي في مفهوم العبادة

الخاتمة : نتائج البحث .

المطلب الأول : تعريف العبادة في اللغة والاصطلاح

أولا : في اللغة :

قال ابن فارس : " العين والباء والدال أصلان صحيحان كأنهما متضادان:.

الأول : العبد وهو المملوك والجماعة العبيد . قال الخليل إلا أن العامة اجتمعوا على تفرقة مابين عباد الله والعبيد المملوكين.

يقال : هذا عبد بين العبودية ، وأما عبد يعبد عبادة فلا يقال إلا لمن يعبد الله تعالى.

والأصل الآخر : العبدة : وهي القوة والصلابة ، يقال هذا ثوب له عبدة إذا كان صفيقا قويا " ([1]) .

وجاء في اللسان : العبد : "الإنسان حراً كان أو رقيقا يذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه جل وعز.

والعبد : المملوك خلاف الحر . والعبودية خلاف الحرية .

وأصل العبودية : الخضوع والتذلل" ([2])

---

[1]) أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة مادة " عبد":4/204ـ 206 (مرجع سابق)

[2]) ابن منظور : لسان العرب، مادة " عبد ": 5/ 2776 ، دار المعارف ، تحقيق : نخبة من العاملين بدار المعارف .

ثانيا : العبادة في الإصطلاح :

يراد بها معنيان عام وخاص .

أ ـ فالعبادة بالمعنى العام عرف بأنها : "عمل العبد الإرادي الموافق لطلب المعبود ".

والعبادة بهذا المعنى تشمل جميع أعمال المرء الإرادية ، قلبية أو سلوكية ، فإذا كان عمله على وفق طلب المعبود كان عمل طاعة أو عملا صالحا ، وإذا كان عمله مخالفا طلب المعبود كان عمله معصية أو عملا غير صالح" ([1])

وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية ([2]) رحمه الله العبادة بهذا المعنى فقال : "العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الرحم والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر وأمثال ذلك من العبادة... وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضى بقضائه ، والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله ، وذلك أن

انظر كذلك ، مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ،مادة "عبد" :2 /579، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، استانبول ، تركيا ، (ابراهيم أنيس وآخرون)

[1]) محمد أبو الفتح البيانوني : العبادات خصائصها وآثارها في الفرد والمجتمع: 3 بحث مقدم لطلاب الدراسات العليا ضمن البرنامج العام لقسم الثقافة الإسلامية في كلية الشريعة بالرياض لعام 1400-1401هـ.

[2]) شيخ الإسلام ابن تيمية : هو شيخ الإسلام تقي الدين أبوالعباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، الإمام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ المفسر الأصولي الزاهد ، ولد بحران سنة 661هـ وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير ، وقد إمتهن وأوذي مرات كثيرة ، ومن مصنفاته الكثيرة مجموع الفتاوى السياسية الشرعية بيان الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح الإستقامة ، وتوفي سنة 728 رحمه الله تعالى ز انظر : ابن رجب :كتاب الذيل على طبقات الحنابلة 2/ 387-405 مطابع السنة المحمدية 1372هـ- 1953م .

العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى([1])﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ([2]) "، وهذا المعنى العام للعبادة هو المراد بتعريف سيد قطب ([3]) لها حيث قال : رحمه الله تعالى " هي الدينونة الشاملة لله وحده في كل شيئ من شؤون الدنيا والآخرة" ([4]) .

وقال أيضا: " ليس في التصور الإسلامي نشاط إنساني لا ينطبق عليه معنى " العبادة" أولا ويطلب فيه تحقيق هذا الوصف ، والمنهج الإسلامي كله غايته تحقيق معنى العبادة أولا وأخيراً" ([5]) .

ب ــ أما العبادة بالمعنى الخاص تعرف بأنها : "الأعمال الخاصة المحددة التي كلف العبد بالقيام بها كتمرين عملي له على الخضوع الكامل ، وهي ما يعبر عنه بالشعائر التعبدية مثل أركان الإسلام الخمسة ، وما يلحق بها كالجهاد والأذان وما إلى ذلك مما يدخل في نطاق المعنى العام

---

[1]) أحمد ابن عبد الحليم ابن تيمية : العبودية :38-39 الطبعة الرابعة 1397هـ المكتب الإسلامي بيروت.

[2]) سورة الذاريات الآية 56 .

[3]) سيد قطب : (1906-1966م) سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي ولد بمحافظة أسيوط بصعيد مصر ونشأ في أسرة متدينة وتلقى تعليمه الإبتدائي في قريته وأتم بها حفظ القرآن الكريم وعمره 11 سنة ثم واصل دراسته بالقاهرة حيث تخرج عام 1933م ، زار أمريكا سنة 1948م وكان لتلك الزيارة أثر بارز في توجهه للكتابات الإسلامية ، عمل فترة قصيرة مستشارا لمجلس قيادة الثورة للشؤو ن الثقافية ولما اصطدم الإخوان المسلمون مع حكومة الثورة عام 1954 كان في مقدمة المعتقلين وحكم عليه بالسجن 15عاما ثم أفرج عنه بعد 10 سنوات بوساطة الرئيس العراقي آنذاك عبد السلام عارف ، ومالبث أن أعتقل مرة أخرى عام 1965 لينفذ فيه حكم الإعدام عام 1966م .

له مؤلفات عديدة يعد بها من روائد الحركة الإسلامية المعاصرة من أهمها : (في ظلال القرآن) تفسير للقرآن في 6 مجلدات ، (معالم في الطريق) فيه خلاصة فكره الحركي وتسبب في تعجيل إعدامه (العدالة الإجتماعية في الإسلام) ، وخصائص التصور الإسلامي ومقوماته . انظر: مدخل إلى ظلال القرآن ص 17-31 د/ صلاح الخالدي دار المنارة للنشر جدة السعودية الطبعة الأولى ، وسيد قطب الشهيد الحي – له .

[4]) سيد قطب : فقه الدعوة :60 الطبعة الأولى 1390 هـ - 1970م مؤسسة الرسالة اختارها من الظلال وجمع بينها على الخط الذي ينتظمها من خلال منهج المؤلف أحمد حسن .

[5]) سيد قطب : المرجع السابق: 66 .

للعبادة ، وإنما خصت بمعنى خاص لأهميتها من جهة ولإشعارها للآخرين بعبودية القائم بها من جهة أخرى ."

ومن هنا كانت العبادة بالمعنى الخاص تحمل معنى الغاية والوسيلة في وقت واحد ، فهي غاية في حد ذاتها ، لأنها طاعة الله وخضوع عملي له ، وهي وسيلة من جهة أخرى نظرا لما تحتويه من تمارين على الخضوع الكامل لله تعالى" ([1])

المطلب الثاني :المفهوم الصحيح للعبادة في الإسلام

أ ــ فضيلة العبودية في الإسلام:

ولسمو فضيلة العبودية جعلها القرآن الكريم صفة وخلقا للأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقال تعالى عن داود : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ ([2]) وقال عن سليمان : ﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ ([3]) وقال عن أيوب : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ ([4]) وقال عن إبراهيم وإسحق ويعقوب :﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ ([5]) وقال عن زكريا :﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ ([6]) وقال عن عيسى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾ ([7]) وقال عن نوح :﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ ([8]) .

---

[1]) محمد أبوالفتوح البيانوني : العبادات خصائصها وآثارها في الفرد والمجتمع :4 (مرجع سابق) .

[2]) سورة ص الآية 17 .

[3]) سورة ص الآية 30 .

[4]) سورة ص الآية 41 .

[5]) صورة ص الآية 45 .

[6]) سورة مريم الآية 2 .

[7]) سورة مريم الآية 30 .

[8]) سورة الإسراء الآية 3 . انظر أحمد الشرباصي : موسوعة أخلاق القرآن :1 /148 .

وقد وصف الله عز وجل حبيبه ومصطفاه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة إسرائه ومعراجه بصفة العبودية فقال تعالى :﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ([1]) وقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ ([2]) وقال أيضا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۜ ﴾ ([3]) وقال أيضا : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ([4])

ثم يصف بها الأبرار الأخيارمن المؤمنين المستجيبين لله تعالى فيقول تعالى:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴾ ([5]) إلى آخر السورة، وقال تعالى : ﴿ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ ([6]) والعبودية حلية المؤمن الذي يوقن بوحدانية ربه ويوقن بلقائه وجزائه ، فهو يستعد دائما لهذا اللقاء بالعمل الصالح وإجتناب الإشراك بالله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ ([7])

ب ـ المراد بالعبادة في المفهوم الإسلامي الصحيح

---

[1]) سورة الإسراء الآية 1.

[2]) سورة البقرة الآية 23 .

[3]) سورة الكهف الآية 1.

[4]) سورة الفرقان الآية ! .

[5]) سورة الفرقان الآيات 63-77 .

[6]) سورة الزخرف الآية 68 .

[7]) سورة الكهف الآية 110 . وانظر: أحمد الشرباصي : موسوعة أخلاق القرآن :1 /148.

كان المفهوم الصحيح للعبادة عند السلف الصالح أن عبادة الله هي غاية الوجود الإنساني كله ، كما فهموا من قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ([1])

إن هذه الآية الكريمة كانت تمثل في حسهم معنى هائلا وعميقا وشاملا لكل حياة الناس ، وكانوا يحسون إحساسا صادقا بعظمة الله وبما ينبغي للعبد من إخلاص العبودية له وإخلاص العبادة ([2])

وكانوا يعرفون حقيقة معنى العبادة ، فكانوا عبادا لله حقا وكان وصف العبودية جليا في حياتهم وجميع أعمالهم بل كانت عاداتهم عبادات ، إذ كانوا لايتحركون تحركا ولايسكنون سكونا إلا ويشعرون رضاء الله عن ذلك التحرك والسكون حتى أصبح هذا الشعور محور تحركهم ومبعث سلوكهم ، لا تشوبه شائبة ولا يغفلون عنه لحظة ([3]) ومن ثم لم ينحصر مفهوم العبادة في حسهم في نطاق الشعائر التعبدية وحدها كما فهمه الذين تأثروا بالغزو الثقافي ، والشعائر التعبدية إنما هي لحظاة مركزة يتزود الإنسان فيها بالطاقة الروحية التي تعينه على أداء بقية العبادات المطلوبة منه .

فالصلاة مثلا زاد يومي يتكرر خمس مرات في اليوم والليلة ووظيفتها الأخلاقية أنها تنهي عن الفحشاء والمنكر ([4]) قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ ([5]) ، وتراقب المصلين على سلوكهم وتصرفاتهم خارج الصلوات وتحجزهم عن كل قبيح وتكفر خطاياهم. فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لمابينهن إذا اجتنبت الكبائر " ([6])

---

[1]) سورة الذاريات الآية 56 .

[2]) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح :173-175 دار الشروق الطبعة السادسة 1411هـ - 1991م القاهرة .

[3]) محمد أبو الفتح بيانوني : تحول العبادات إلى عادات وأثرها في حياة المسلمين :5 بحث مقدم للدراسات العليا في قسم الثقافة الإسلامية كلية الشريعة بالرياض.

[4]) انظر : محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح : 180-207 .

[5]) سورة العنكبوت الآية 45 .

[6]) الحديث رواه مسلم في كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء عقبه، حديث: 233 (209/1)

وعبادة الصلاة تبني المجتمع الصالح ببناء الأفراد الصالحين وتعمل صلاة الجماعة عملها في تقوية الروابط بين أفراد المجتمع وحاجة الناس إلى تقوية الروابط الإجتماعية ماسة ملحة فالإنسان مدني بالطبع محتاج إلى معاونة بني جنسه ([1])

والزكاة عبادة سنوية يتطهر فيها الإنسان من الشح فهي زكاة للنفس والمال معا وطهارة للحياة كلها حسيها ومعنويها ، قصد بها الإسلام أن يمد الغني يده إلى الفقير بمايسد حاجته ، فهي مع غيرها من الكفارات والصدقات تمثل التكافل الإجتماعي ، كما قصد به البث في أفراد المجتمع التعاطف والتراحم بين المعطين لها والآخذين وعلى صلة الأرحام ، وليست ضريبة تؤدى للمسؤولين ([2]) ، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ ([3]) .

والصيام زاد سنوي مركز يستغرق شهرا يتقلب فيه الإنسان من عبادة إلى عبادة ، صائم بالنهار وقائم بالليل والصوم الكامل هو ماصام فيه المسلم عن المفطرات من الطعام والشراب والجنس وكل ما يغضب الله من المعاصي الظاهرة والباطنة لقوله صلى الله عليه وسلم " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " ([4]) والصيام عبادة شاملة تطهر النفس من أدران كثيرة تترسب في النفس ، والصيام تجنيد للنفس وتدريب على الإستعلاء على الشهوات ، ينمي في القلوب اخباتها إلى الله ، لأن التقوى لا تكون مع غلبة الشهوات ، إنما تكون مع الانضباط الذي يلزم النفس بالحدود التي حددها الله ([5]) .

والحج عبادة عميقة الأثر في حياة المسلم ، تشمل في طياتها كل العبادات ، بتركيز واضح عل عبادة التوحيد ، إنه خلوص وتجرد إلى الله ، تجرد من كل ماتتعلق به النفس في الحياة الدنيا من أهل ومسكن وموطن ومتاع حتى الملبس الذي تعود الإنسان أن يتزين به ، تجرد من ذلك كله إلى الله وحده تلبية وذكرا

---

[1]) انظر: الحسيني أبو فرحة : أثر العبادات في البناء الإجتماعي : 9-10 بحث مقدم للدراسات العليا في قسم الثقافة الإسلامية كلية الشريعة بالرياض .

[2]) انظر محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح :207- 237 . والحسيني أبو فرحة : أثر العبادة في البناء الإجتماعي :12-14 (مرجع سابق) .

[3]) سورة التوبة الآية 103.

[4]) رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى " اجتنبوا قول الزور " فتح الباري 10/ 488 الحديث 6057.

[5]) انظر: محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح: 136-137 .

وتوجها وصلاة ونسكا ([1]) ، قال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ ([2]) .

وقد أحسن سيد قطب – رحمه الله تعالى – في تحديد مفهوم العبادة الحقيقية في قوله : " ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى أوسع وأشمل من مجرد الشعائر وإن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعا ، وإن حقيقة العبادة تتمثل إذن في أمرين رئيسيين :

الأول : هو استقرار معنى العبودية في النفس أي استقر الشعور على أن هناك عبدا وربآ ، عبدا يَعبد وربآ يُعبد ، وأن ليس وراء ذلك شيئآ ، وأن ليس هناك إلاهذا الوضع وهذا الاعتبار ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود والرب واحد والكل له عبيد .

الثاني: هو التوجه إلى الله تعالى بكل حركة في الضمير وكل حركة في الجوارح وكل حركة في الحياة ، التوجه بها إلى الله خالصة ، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد لله بهذا وذاك يتحقق معنى العبادة ويصبح العمل كالشعائر ، والشعائر كعمارة الأرض ، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله ، والجهاد في سبيل الله كالصبر على الشدائد والرضى بقدر الله كلها عبادة ، وكلها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق الجن والإنس لها ، وكلها خضوع للناموس العام الذي يتمثل في عبودية كل شيء لله دون سواه " ([3]) ، هذا والعمل المباح عبادة فإذا خرج الإنسان ليعمل لينفق على أهله ويكفيهم المؤونة فذالك عبادة لقوله صلى الله عليه وسلم " إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة "([4]) وطلب

---

[1]) انظر: المرجع السابق نفسه : 240-241 .

[2]) سورة الحج الآيات 27-28-29 .

[3]) سيد قطب : في ظلال القرآن : 27/ 28الطبعة الرابعة دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان .

[4]) الحديث متفق عليه من حديث أبي مسعود البدري رواه البخاري في كتاب الإيمان 41 باب ماجاء أن الأعمال بالنية والحسبة (فتح الباري 1/ 165 حديث: 56 ورواه مسلم واللفظ له في كتاب الزكاة – 14 باب فضل النفقة على الأقربين والزوج والأولاد حديث: 1002 (695/2) .

العلم عبادة بل هو فريضة لقوله صلى الله عليه وسلم : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " ([1]) ، وبر الوالدين وحسن صحبتهما عبادة ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾([2]) ، وصلة الأرحام عبادة ، وإماطة الأذى عن الطريق عبادة ، بل قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف صدقة ،

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : "يارسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كمانصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضل أموالهم ، قال : "أوليس جعل الله لكم ماتصدقون إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة ، قالوا يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ،فكذالك إذا وضعها في الحلال كان له أجر " ([3]) يقول الإمام النووي حول هذا الحديث : " وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات ، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به أو طلب ولد صالح أن إعفاف نفسه أوإعفاف الزوجة ومنعها جميعا من النظر إلى حرام أو الفكر فيه أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة " ([4]) وهذا مفهوم العبادة الشاملة في الإسلام ، وأرجو أن يكون مامثلته يكفي لفهم المقصود ، وقد فصلت فيه ليعلم القارئ مفهوم العبادة قبل أن يرى أثر الغزو الثقافي على هذه القيمة لأن من لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام أي من لا يعرف مفهوم العبادة في الإسلام لن يعرف أثر الغزو على هذه القيمة .

المطلب الثالث : أثر الغزو الثقافي على خلق العبادة

---

[1]) الحديث رواه ابن ماجه في المقدمات باب 17 81/1 وقال الألباني صحيح انظر : صحيح سنن ابن ماجه للألباني 41/1 .

[2]) سورة الإسراء الآية 23 .

[3]) الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم : ورواه البخاري في كتاب الأذان – 155 باب الذكر بعد الصلاة (فتح الباري 378/2 حديث: 841 ، ورواه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف . انظر صحيح مسلم بشرح النووي المجلد الثالث 91/8-92) (مصدر سابق) .

[4]) صحيح مسلم بشرح النووي انظر الشرح :92/7 (مصدر سابق) .

أهم أثر للغزو الثقافي على هذه القيمة الخلقية، يتمثل في تغير مفهوم العبادة لدى الأجيال المتأخرة، وهذا من أخطر الآنحرافات التي وقعت فيها الأجيال المتأخرة من المسلمين، وهو انحرافهم في قصور مفهوم العبادة، وحين يعقد الإنسان مقارنة بين المفهوم الشامل الواسع العميق الذي كانت الأجيال الأولى من المسلمين تفهمه من أمور العبادة، والمفهوم الهزيل الضئيل الذي تفهمه الأجيال المعاصرة لا يستغرب كيف هوت هذه الأمة من عليا ئها لتصبح في هذا الحضيض الذي تعيشه اليوم " ([1]) .

فالمتأمل في واقع المجتمع اليوم يلاحظ أن فريقا من الناس يحملون أسماء إسلامية ولا يعبدون الله عز وجل ، وآخرون يعبدون الله بمفهومهم أن العبادة مجرد شعائر تعبدية صورية خالية من مضمونها ([2]) وهؤلاء مفهوم العبادة متنوع فيهم ومتفاوتة بينهم ، فمنهم من انحصر مفهوم العبادة في جانب من جوانب الحياة ، ففصلوا بين علاقة الإنسان بربه وبين علاقته مع نفسه ومع غيره ، وحصروا معنى العبادة في علاقتهم مع الله ، تما ما مثل مفهوم الغربيين للعبادة ([3]) وفي هؤلاء يقول يقول سيد قطب : " جعل بعض الناس يفهمون أنهم يملكون أن يكونوا " مسلمين " إذا هم أدوا نشاط " العبادات " وفق أحكام الإسلام بينما هم يزاولون كل نشاط " المعاملات " وفق منهج آخر لا يتلقونه من الله ولكن من إله آخر هو الذي يشرع لهم في شؤون ما لم يأذن به الله وهذا وهم كبير ([4]) ، ومنهم من انفصل شعورهم عن سلوكهن في أداء هذه الشعائر التعبدية ، فخضعوا لله بجوارحهم ولم يخضعوا له بمشاعرهم وقلوبهم ، بل تصور كثير منهم تعبده لله قيدا لسعادته وحريته في هذه الحياة فتراه لا يخضع عن طواعية ورضي بل يخضع لله تبعا لمجتمعه وبيئته فلا يفهم لهذا الخضوع معنى ولا يحسن له في نفسه أثرا ([5]) .

وأصبح المطلوب هو أداء الشعيرة بأي صورة كانت ولوكان آليا بغير روح أو أداء تقليديا يحركه الحرص على التقاليد دون أن يحركه الدافع إلى عبادة الله وحده. فكم من مستغفر لله عز وجل وهو متلبس بمعصية الله ومخالفته لا يجاوز الاستغفار لسانه .

---

[1]) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح : 173 (مرجع سابق) .

[2]) عبد الله سليمان المشوخي : مجتمعنا المعاصر :141 (مرجع سابق) .

[3]) محمد أبو الفتح البيانوني : تحول العبادات إلى عادات :5 (مرجع سابق) .

[4]) سيد قطب : فقه الدعوة :67 (مرجع سابق) .

[5]) انظر محمد أبو الفتح البيانوني : تحول العبادات إلى عادات :5 .

وكم من مسبح وحامد وشاكر لله عز وجل بلسانه وهو غافل عن نعمه ومرتكب لما يوحي بالكفران لهذه النعم ، والصلاة التي كانت قرة عيون المؤمنين ومعراج المتقين أصبحت عند كثير من المصلين عبارة عن حركات تؤدي بلا خشوع ولا طمأنينة ولا التفات إلى معنى ما يتلى فيها من الآيات والذكر ، وينصرف منها المصلي لا تكاد تحس أنها تركت أثرا في نفسه إن لم يكن قد انشغل عنها تماما – وهو فيها – بحساب خسائره وأرباحه أوشيئ من سائر مشاغله اليومية ، فأنى لصلاة كهذه أن تنهي عن الفحشاء والمنكر فتؤدي وظيفتها في حياة الناس وسلوكهم ([1]) ؟ ! .

والزكاة التي شرعت طهرة للقلوب وتزكية لها من حب المال أصبحت عند كثير من المؤدين لها ضريبة من الضرائب كالضرائب في النظام الغربي يحتال عليها ويتثاقل من دفعها ، وإن أداها صاحب المال لا تمنعه من أكل الربا ولا تحرج صدره منه ، فهذه عبادة وهذا عمل ، ولا علاقة ولا تداخل بين العبادة وبين العمل في نظرهم ، فضلا عن الألاعيب والحيل التي يسترد بها المزكي جزءا من المال الذي الذي تصدق به بالتحايل على من أداه إليهم من الفقراء والمساكين ، وأنى لمثل هذه الزكاة أن تردع صاحبها عن الحرام وأن تطهر نفسه من رجس الشيطان وتطهر قلبه من حب المال ([2])

وشهر رمضان الذي كان مدرسة التقوى والصبر ، أصبح الصيام مجرد امتناع عن الطعام والشراب ساعات النهار في الوقت نفسه لا يمتنع لسانه عن الكذب والغيبة والنميمة وقول الفحش مع نهم ضخم إلى الطعام بعد الإفطار يصل إلى حد الإسراف ([3]) كأنما هو شهر الطعام لا شهر الصوم ، فضلا عن البحث عن المسليات في ليالي الصوم من عكوف عن المذياع أو التلفاز أو الذهاب إلى المراقص والمسارح والسينما بلا حرج في صدورهم ولا تأثم ولا احساس بالتناقض بين ما يجري في الليل وما يجري في النهار ([4]) ، وأنى لمثل هذا الصيام أن يطهر النفوس ويربيها على فضائل الصيام ! .

ومناسك الحج تلك المدرسة التربوية الجامعة ، أصبحت عندهم أعمالا روتينية لا تؤدي وظيفتها في النفوس يتقيد الحاج أيام الحج بمحظورات الإحرام وهو متلبس بمحظورات الإسلام فكم من حاج يسأل مثلا عن

---

[1]) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح :142-143 ، ومحمد أبو الفتح البيانوني : تحول العبادات إلى عادات :6-7 .

[2]) محمد أبو الفتح البيانوني : تحول العبادات إلى عادات :7 ومحمد قطب مفاهيم ينبغي أن تصحح :243-244(مرجع سابق).

[3]) محمد قطب : المرجع سابق نفسه :243 ، وعبد الله سليمان المشوخي مجتمعنا المعاصر :141 (مرجع سابق) .

[4]) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح :243 (مرجع سابق).

حكم لبس الساعة حال الإحرام خشية الوقوع في المحظور وهو متختم بالذهب طيلة حياته ، وكم من حاج يخشى ويتحرز عن سقوط شعرات من جسمه وهو حالق اللحية قبل وبعد الإحرام ([1]) .

فضلا عن الجدال والخصام بين الحجاج وهم محرمون وما يحدث من تدافع بالمناكب في الطواف ورمي الجمار حتى يدوسوا فوق إخوان لهم في الإسلام والحج فيزهقوا أرواحهم غير مبالين ([2]) ، وأنى لحاج مثل هذا أو ذاك أن يستفيد من الحج وأن يعود حجه عليه بالنفع .

والحجاب الذي كان مظهر العفة والحياء أصبح عند كثير من النساء عبئا ثقيلا يتفنن في إزاحته ، وإذا ما لبسته المرأة فإنما تلبسه تبعا لعاداتها وتقاليد بلدها دون شعور منها بأنها في عبادة بامتثال أمر ربها وما أعجب أن تتحجب المرأة في صلاتها ثم تخرج بعدها سافرة متبرجة ([3]) !! .

ويرجع سبب هذا التحول الخطير في مفهوم العبادة إلى الخطأ في مفهوم الإنسان لوجوده ووظيفته في هذه الحياة﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾([4])، ثم تصور المسلم الشعائر التعبدية بصورتها الآلية غايات لا وسائل إذا فعلها فقد أدى ما عليه .

هذه بعض الفروق بين مفهوم العبادة كما نزل من عند الله وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعاه الجيل الأول ومارسه ، وبين المفهوم الهزيل الضامر الذي فهمته الأجيال المتأخرة .

المفهوم الأول هو الذي أخرج ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾([5]) والمفهوم الأخير هو الذي أخرج غثاء السيل .

فإذن لا بد من تصحيح المفاهيم حتى نغير ما بأنفسنا :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾([6])([7])

---

[1]) محمد أبو الفتح البيانوني : تحول العبادات إلى عادات :7 (مرجع سابق) .

[2]) انظر محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح :244 .

[3]) انظر محمد أبو الفتح البيانوني : تحول العبادات إلى عادات :7 .

[4]) سورة الذاريات الآية 56 .

[5]) سورة آل عمران الآية 110 .

[6]) سورة الرعد الآية 11 .

[7]) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح :245-246 .

الخاتمة : أهم نتائج البحث

فيما يلي أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :

1ـ يتجلى بوضوح أن معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى أوسع وأشمل من مجرد الشعائر التعبدية

2ـ العبادة الحقيقية هي التوجه إلى الله تعالى بكل حركة في الضمير وكل حركة في الجوارح وكل حركة في الحياة ، التوجه بها إلى الله خالصة ، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد لله بهذا وذاك يتحقق معنى العبادة ويصبح العمل كالشعائر ، والشعائر كعمارة الأرض ، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله ، والجهاد في سبيل الله كالصبر على الشدائد والرضى بقضاء الله وقدره

3ـ فالمتأمل في واقع المجتمع اليوم يلاحظ أن فريقا من الناس يحملون أسماء إسلامية ولا يعبدون الله عز وجل ، وآخرون يعبدون الله بمفهومهم أن العبادة مجرد شعائر تعبدية صورية خالية من مضمونها،

وهؤلاء مفهوم العبادة متنوع فيهم ومتفاوت بينهم ، فمنهم من انحصر مفهوم العبادة في جانب من جوانب الحياة ، ففصلوا بين علاقة الإنسان بربه وبين علاقته مع نفسه ومع غيره ، وحصروا معنى العبادة في علا قتهم مع الله في الشعائر التعبدية ، تماما مثل مفهوم الغربيين للعبادة

4ـ لا مقارنة بين مفهوم العبادة كما نزل من عند الله وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعاه الجيل الأول من الصحابة ومن تبعهم ومارسوه ، وبين المفهوم الهزيل الضامر الذي فهمته الأجيال المتأخرة .

المفهوم الأول هو الذي أخرج ﴿ **خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[1] والمفهوم الأخير هو الذي أخرج غثاء كغثاء السيل .

[1]) سورة آل عمران الآية 110 .

أهم مراجع البحث

القرآن الكريم

1.) أحمد الشرباصي : موسوعة أخلاق القرآن ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان
2.) أحمد ابن عبد الحليم ابن تيمية : العبودية ، الطبعة الرابعة 1397هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان
3.) أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، الطبعة الأولى 1396هـ ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، حققه وضبطه : عبدالسلام محمد هارون .
4.)البخاري : صحيح البخاري ، (مع فتح الباري) ، الطبعة الأولى 1407هـ 1986م دار الريان للترلث ، القاهرة .
5.)البرهان فوري : كنز العمال ، الطبعة الأولى1390هـ 1970م ، مكتبة التراث الإسلامي حلب ، سوريا ، ضبطه وفسره ، الشيخ حسن زروق ، وصححه ووضع فهارسه صفوت السقا
6.) البيهقي : السنن الكبرى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان
7.) الترمذي : سنن الترمذي ، الطبعة الثانية 1388هـ-1968م ، الطبع والنشر، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، بمصر. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
8.) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، الطبعة الأولى 1407هـ 1986م دار الريان للترلث ، القاهرة .
9.) الحسيني أبو فرحة : أثر العبادات في البناء الإجتماعي ، بحث مقدم للدراسات العليا في قسم الثقافة الإسلامية كلية الشريعة بالرياض .
10.) سيد قطب : فقه الدعوة ، الطبعة الأولى ، 1390 هـ - 1970م ، مؤسسة الرسالة ،إختارها من الظلال وجمع بينها على الخط الذي ينتظمها من خلال منهج المؤلف أحمد حسن
11.) سيد قطب : في ظلال القرآن ، الطبعة الرابعة ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان
12.) عبد الله سليمان المشوخي : مجتمعنا المعاصرأسباب ضعفه ووسائل علاجه ، الطبعة الأولى ، 1407هـ / 1987م ، مكتبة المنارة ، الأردن .
13.) علي جريشة: الاتجاهات الفكرية المعاصرالطبعة أولى ، 1407هـ - 1986م دار الوفاء المنصورة ، القاهرة .
14.) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، استانبول ، تركيا ، (ابراهيم أنيس وآخرون)
15.) محمد أبو الفتح البيانوني : تحول العبادات إلى عادات وأثرها في حياة المسلمين ، بحث مقدم للدراسات العليا في قسم الثقافة الإسلامية كلية الشريعة بالرياض.
16.) محمد أبو الفتح البيانوني : العبادات خصائصها وآثارها في الفرد والمجتمع ، بحث مقدم لطلاب الدراسات العليا ضمن البرنامج العام لقسم الثقافة الإسلامية في كلية الشريعة بالرياض لعام 1400-1401هـ.
17.) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح الطبعة السادسة ، 1411هـ - 1991م ، دارالشروق ، القاهرة .
18.) مسلم بن حجاج القشيري : صحيح مسلم ، طبعة بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع الرياض 1419هـ 1988م ، اعتنى به أبوصهيب الكرمي

19.) المنذري : الترغيب الترهيب ، الطبعة الثانية 1373هـ-1954م الطبع والنشر، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، بمصر .
20.) ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، تحقيق : نخبة من العاملين بدار المعارف .
21.) النووي : شرح النووي على صحيح مسلم ، الطبعة الأولى 1407هـ 1987م ، دار الريان للتراث ، القاهرة .